

العلاقة بين محاولة الخليفة العباسي الهادي عزل أخيه هارون عن ولاية العهد وملابسات وفاته عام ١٧٠هـ/786م

عامر أحمد القبيج

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والتربوية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

Amer.qobbaj@najah.edu

الملخص

شهد عهدُ كلِّ من الخيفتين أبي جعفر المنصور والمهدي عديداً من الأزمات الناتجة عن الصراع على مناصبي ولاية العهد والخلافة، وقاما خلالها بعزل بعض أولياء العهد؛ حتى يظلَّ منصبُ الخلافة مستمراً في أبنائهما وذريتهما، وتمخَّض عن ذلك نتائج خطيرة أدت أحياناً إلى القتل. يأتي هذا البحث لرصد هذه الظاهرة خلال عهد الخليفة العباسي موسى الهادي (169-170هـ/785-786م)، مع التركيز على العلاقة بين محاولته عزل أخيه هارون عن ولاية العهد لصالح ابنه الطَّفل جعفر من جهة، وملابسات وفاته من ناحية أخرى. وكان المهديُّ قد حاول من قبل تقديم ابنه هارون على الهادي في ولاية العهد، بتأثير من زوجته الخيزران، ولكنَّه لم يفلح، وراح ضحية محاولته تلك. وفي أواخر عهد الهادي سلك الطريق ذاته، فانقسمت الدولة ما بين مؤيد ومعارض، وكاد هارون يوافق على التنازل عن حقِّه في ولاية العهد لصالح جعفر لولا تحريض الخيزران وبحيى البرمكي، ما جعل الأمور تسير إلى حدِّ التَّهديد المتبادل بالقتل، وتمخَّض عن ذلك مقتل الخليفة الهادي وتولَّى أخيه هارون الرِّشيد الحكم عام 170هـ/786م.

الكلمات مفتاحية: الهادي، ولاية العهد، هارون الرِّشيد، الخيزران.

The relationship between the Abbasid Caliph Al-Hadi's Attempt to Remove his Brother Harun from the Position of Crown Prince and the Circumstances of his Death in 170 AH/786 AD

Amer Ahmed Al-Qobbaj

Department of History, Faculty of Humanities and Educational Sciences, An-Najah National University, Nablus, Palestine

Abstract

The reign of both Caliphs Abu Ja'far Al-Mansur and Al-Mahdi witnessed many crises resulting from the conflict over the positions of crown prince and caliphate, during which they dismissed some crown princes; so that the position of caliphate would continue in their sons and descendants. This resulted in serious consequences that sometimes led to murder. This research aimed to monitor that phenomenon during the reign of the Abbasid Caliph Musa Al-Hadi (169-170 AH/785-786 AD), focusing on the relationship between his attempt to remove his brother Harun from the position of crown prince in favor of his young son Ja'far on the one hand, and the circumstances of his death on the other hand. Al-Mahdi had previously tried to put his son Harun ahead of Al-Hadi in the position of crown prince, under the influence of his wife, Khayzaran, but he did not succeed and fell victim to his attempt. At the end of Al-Hadi's reign, he took the same path, and the state was divided between supporters and opponents. Harun almost agreed to give up his right to the crown prince position in favor of Ja'far, but the incitement of Al-Khayzaran and Yahya Al-Barmaki prevented that, so the situation went to the point of mutual threats of murder, which resulted in the killing of Caliph Al-Hadi and the assumption of the caliphate by his brother Harun Al-Rashid in 170AH/786 AD.

Keywords: Al-Hadi, Crown Prince, Harun al-Rashid, Al-Khayzaran.

مقدمة

هذا الهدف ضغوطاً شتى، ما اضطرَّ عيسى إلى الرُّضوخ (ابن خياط، 1985، 423). وكان المنصورُ يخطِّط لعزله وإقصائه مستقبلاً عن الحياة السياسيَّة، من خلال السَّعي لتتصيب ابنه صالح (ت. 176هـ/792م) (4) وليّاً لعهد المهديّ، إلا أنَّ الأخير لم يوافق على ذلك، لرغبته في استمرار الخلافة من بعده في عقبه (ابن العمراني، 1999، 69؛ ابن الجوزي، 1995، 206/8). وفور وفاة أبي جعفر المنصور عام 158هـ/775م، خلال طريقه إلى مكَّة المكرَّمة لأداء مناسك الحجِّ، دعا الوزير الرِّبيع بن يونس (ت. 170هـ/786م) (5) شيخ البيت العباسيِّ وكبار رجال الدولة إلى مبايعة محمد المهدي وعيسى بن موسى من بعده، ففعلوا، وأرسل إلى بغداد من يرفق البيعة للمهدي، ثم بايعه أهلها، وذلك في 19 ذي الحجة 158هـ/19 أكتوبر 775م (ابن خياط، 1985، 428؛ الطُّبري، د. ت، 60/8، 111، 113؛ الأزدي، 1967، 231).

واتَّبع المهديُّ الطُّرق ذاتها التي انتهجها أبوه في مضايقة عيسى بن موسى والضَّغط عليه؛ بهدف المبايعة لابنيه موسى ثمَّ هارون من بعده (البِقوقي، 2010، 338/2؛ الجهشيار، 1938، 145)، علماً أنَّه لم يكن واثقاً من قدرة موسى على الاضطلاع بأعباء الخلافة من بعده؛ لضعف شخصيَّته (ابن طيفور، 1908، 135). ومن أجل إضفاء الشَّرعية الدِّنيَّة على تحلُّه من البيعة؛ استدعى المهديُّ عام 160هـ/776م الفُهاء والقضاة، ومنهم: محمد بن عُلائة (ت. 168هـ/784م) (6)، ومسلم بن خالد الزنجي (ت. 180هـ/796م) (7)؛ فافتوا بجوازها؛ إرضاءً له، وتجاوياً عن الحقِّ (الطُّبري، د. ت، 125/8)، وحينها وافق عيسى مُكرهاً؛ ثمَّ دعا المهديُّ الخاصَّة والعامة إلى مبايعة ابنه موسى وهارون وليَّيْن للعهد على التَّوالي، فبايعوهما (8). وأما عيسى فاستقرَّ بعد ذلك في الكوفة، وتوفِّي فيها في 27 ذي الحجة 167هـ/20 يوليو 784م (ابن الجوزي، 1995، 292/8؛ ابن الأثير، 1987، 255/5)، ولم تذكر المصادر التاريخيَّة أسباب وفاته، ولكنَّ اللافت أنَّ واليها روحاً بن حاتم (ت. 174هـ/790م) (9)، الذي بالغ في التضييق عليه خلال حياته، لم يصلِّ عليه، لم يشهد جنازته (ابن كثير، 2010، 406/10) كما جرت العادة؛ وبخاصَّة أنَّه من كبار أمراء الهاشميِّين، ويشير موقفُ الوالي إلى أنَّ المؤسَّسة الرِّسميَّة كانت لا تزال ساخطة عليه، ما يدعو إلى الاعتقاد بأنَّه وأعوانه ربَّما كان لهم دورٌ في إنهاء حياته والتخلُّص منه؛

يتناولُ هذا البحثُ أزمة تداوُل السُّلطة في فترة الخليفة العباسيِّ موسى الهادي (169-170هـ/785-786م) ومحاولته إقصاء أخيه هارون عن ولاية العهد لصالح ابنه جعفر، وأثرها على ملابسات وفاته وأسبابها عام 170هـ/786م. وكانت العديد من الدِّراسات والمؤلفات الحديثة قد تناولت عهد الخليفة المذكور ضمن تاريخ الدولة العباسيَّة أو بصورة منفردة؛ إلا أنَّ أيّاً منها لم تختصُّ بدراسة الموضوع من الزاوية المُشار إليها، فعَدَّ الباحثُ ذلك من مظاهر أهميَّة البحث وضروراته. وتتمثَّل مشكلة البحث الرِّئيسة في الإجابة على التَّساؤل فيما إذا كان لازمة ولاية العهد في فترة الخليفة الهادي وتداعياتها أثرٌ في الطُّروف والأسباب التي أدت إلى وفاته، علماً أنَّ أهمَّ فرضياته تتمحور في أنَّه قد راح ضحيَّة إصراره على تقديم ابنه جعفر على أخيه هارون، وذلك بتدبير من والدته الخيزران ذات التُّرعة التَّسلطيَّة ويحيى البرمكيِّ الطَّامع في المزيد من المناصب والتُّفوذ. واتَّبع الباحث المنهج التَّاريخيَّ التَّحليليَّ الوصفي، إذ استقرأ معلوماته من مصادر الأصلية، فحلَّلها ووصف ما فيها؛ انسجاماً مع عناصر البحث، وبما يخدم الأهداف المتوخَّاة منه.

تمهيد

تعودُ ظاهرة عزل الخلفاء لولاة العهد في التَّاريخ العباسيِّ والاعتقالات السياسيَّة على هذه الخلفيَّة إلى عهد الخليفة الأوَّل أبي العباس السَّفَّاح (132-136هـ/749-753م)، الذي تنكَّر لبيعة عمِّه عبد الله بن علي (ت. 147هـ/764م)؛ وأسند ولاية العهد لأخيه أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-775م)، ومن بعده لعيسى بن موسى (ت. 167هـ/783م) (1)، ابن أخيه (ابن الجوزي، 1995، 292/8؛ مجهول، 1871، 257/3)، مخالفاً بسياسته تجاه عمِّه القواعد الشَّرعية؛ لأنَّ الإسلام يشدُّ على الوفاء بالعهد، ويحذر من النُّقض، قال تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُتُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا (النحل، 91)، أي: أوفوا بما أوجبتم به على أنفسكم لمن عاهدتموه به، ولا تخالفوا الأمر الذي تعاهدتم فيه الأيمان، فتحثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنفثوها بعد إبرامها (الطُّبري، 2000، 281/17).

ولمَّا تولَّى المنصورُ الخلافة؛ تنكَّر لحقِّ عمِّه عبد الله وواجه ثورته بعنف، ثمَّ قتله في محبسه عام 147هـ/764م (2)، وفي العام نفسه، عزم على تقديم ابنه محمد المهدي (3) على عيسى بن موسى في ولاية العهد (ابن الطُّطقي 1966، 172؛ ابن خلدون، 2000، 248/3)، ومارس تجاهه من أجل تحقيق

(4) صالح بن أبي جعفر المنصور: أمة روميَّة يُقال لها قالي، لقب بالمسكين والفقير، حج بالناس أيام أخيه المهدي عامي 164هـ/781م و165هـ/782م، وتوفي عام 176هـ/792م (القسوي، 1410هـ/1501-1511هـ/المتنبي، 2000، 152/16). (5) الرِّبيع بن يونس بن محمد بن كيسان: أبو الضَّل، أمه جارية، ووصف بأنه كان جليلاً مهيأً أصبحاً خبيراً بالحساب والأعمال وحذقاً في أمور الملك، ولي حجابة المنصور والمهدي ووزارتهما، وقُتل عام 170هـ/786م (ابن الطُّطقي، 1966، 177-178؛ الذهبي، 1990، 27/10، 187).

(6) محمد بن عبد الله بن علانة الجزري: أبو اليسير، قضى الخلافة، ولي القضاء للمهدي، ولقب بقاضي الجن؛ لأنه حكم بين الجن والإنس في نهر ماء، وتوفي عام 168هـ/784م (الذهبي، 1996، 308/7، 309).

(7) الزنجي، مسلم بن خالد المخزومي المكنى: أبو خالد، مولى بني مخزوم، ولذ عام 100هـ/719م أو قبلها بقليل، من أهل الحديث والفتا، ومن فقهاء مكَّة المكرَّمة، أجاز بعضه وضعف آخرون، وكان عبداً، بصوم الذَّهر، ومات عام 180هـ/796م (الذهبي، 1996، 176-178).

(8) للتَّفصيل؛ يُنظر: (الطُّبري، د. ت، 125-128؛ الأزدي، 1967، 238؛ ابن الأثير، 1987، 234/5).

(9) روح بن حاتم: ابن المهلب بن أبي سفرة المهدي، الأمير أبو حاتم، أحد الأجداد الأبطال، ولي ولايات جليلة للسَّفاح والمنصور والمهدي والهادي والرَّشيد، كالبصرة والتبند، كما ولي المغرب لما مات واليها أخوه يزيد عام 171هـ/787م، وبقي على ولايته حتى وفاته في القيروان عام 174هـ/790م (الذهبي، 1996، 441/7).

(1) عيسى بن موسى: بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولذ في الخفيمية من نواحي البلقاء بالتمام عام 103هـ/721م، وعُدَّ من أقدار الأمراء العباسيِّين من الناجحين الإداريَّة والمسكريَّة، فساهم في بناء دولة المنصور، وفي القضاء على ثورات العلويِّين في الحجاز والبصرة، وتوفي عام 167هـ/783م (الذهبي، 1990، 384-385؛ فوزي، 1998، 119/1).

(2) للاضطلاع على أخبار ثورة عبد الله بن علي ومسيره؛ يُنظر: (البلاذري، 1966، 143/4-153).

(3) محمد المهدي: أبو عبد الله، بن أبي جعفر المنصور، ولذ في الخفيمية عام 121هـ/739م (ابن خياط، 1985، 439)، وقيل ببلدة أذنج عام 127هـ/745م (المسعودي، 2005، 256/3)، وهي بلدة جليليَّة تقع بين خوزستان وأصبهان (الخطيب البغدادي، 2001، 382/3)، وأمه هي أم موسى بنت منصور بن عبد الله الجميزي (ابن حزم، د. ت، 19).

الهادي من جرجان؛ تلبيةً لرغبة المهدي في أواخر عهده بالدنيا، ما أنذر بمستقبل أكثر توترًا في العلاقات بين الهادي والدته. فبعد أن علم الجند بوفاة الهادي؛ أثاروا الشغب مطالبين بأعطياتهم وأرزاقهم؛ فعقدت الخيزران اجتماعاً مع عددٍ من أعيان الدولة، وفي مقدمتهم الربيع بن يونس، وقرروا منح الجند عطاءً سنة ونصف أو سنتين، وعد ذلك محاولةً منها لاستمالتهم وصرفهم عن الهادي إلى هارون، ولكن هارون ما لبث بعد وصوله إلى بغداد أن أحبط هذا التوجه، حيث أعلن البيعة بالخلافة لأخيه الهادي، ولنفسه بولاية العهد، وأنفذ الكتب بذلك إلى الولايات (الطبري، د. ت، 187/8-188؛ ابن الأثير، 1987، 264/5؛ ابن كثير، 2010، 417/10). وبذلك تكون الرياح قد جرت بما لا تشتهي سفن الخيزران، ومن ناحية أخرى؛ أثبت موقف هارون مدى وفائه لأخيه، وعظم احترامه لقدسيّة البيعة، فضلاً عن مدى زهده تجاه منصب الخلافة، في هذه المرحلة على الأقل، ولكن تدخل الخيزران وأنصارها، وفي مقدمتهم يحيى بن خالد بن برمكي (ت. 190هـ/806م)⁽⁵⁾، سوف يجعل الأمور تسير على نحوٍ خطير تتخلله تهديدات متبادلة بالقتل من جانب مختلف الأطراف. **تدخل الخيزران في شؤون دولة الهادي، وتوتر العلاقات بينهما**

على الرغم من نوايا والدته الخيزران، فقد بقي الهادي بعد اعتلائه عرش الخلافة باراً بها، حريصاً على توفير احتياجاتها كلها، وتذكر المصادر التاريخية بعض الأمثلة على ذلك؛ ومنها أنها عندما طلبت كساءً أمر لها بخزانة مملوءة بالكسوة، ولكنّها قيل: "وجد للخيزران في منزلها من قراقرز الوشي ثمانية عشر ألف قرقر" (الطبري، د. ت، 205/8)، وكانت غلتها مائتي ألف وستين ألف دينار" (المسعودي، 2005، 280/3؛ الذهبي، 1990، 110/11). وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على رغبة الهادي في فتح صفحة جديدة في علاقاته مع والدته، وربّما هدف أيضاً إلى كبح جماح نزعتها في التدخل في شؤون الدولة، كما كانت تفعل أيام أبيه.

وسوف يتضح أنّ جهود الهادي على هذا الصعيد لم تجد صدقاً إيجابياً لدى الخيزران، التي ما فتئت تتدخل في شؤون الدولة؛ فخلال الشهور الأربعة الأولى من خلافته نشطت في الأمر والنهي والبيت في الأمور العامّة، حيث "كانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدي" (الطبري، د. ت، 207/8)، ومما كان يُزعج الهادي تزاخم أرباب الحاجات من رجال الدولة والعامّة على بابها، فكثرت طلباتها منه في حوائجهم، وعلى الرغم من ذلك؛ لم يشأ في مطلع عهده أن يُغضبها، لا بل كان كثير الطاعة لها، محبباً لها فيما تسأل، فطمع الناس فيها أكثر (الطبري، د. ت، 205/8؛ المسعودي،

خشيةً من عودته إلى لمطالبة بحقه في ولاية العهد، وتحريض الناس على الثورة ضدّ الدولة على غرار ما قام به الأمير عبد الله بن علي، عمّ أبيه.

وكان موسى لما قلد ولياً للعهد فتى في الرابعة عشرة من عمره (الطبري، د. ت، 141/8؛ ابن الجوزي، 1995، 251/8). وبقي الخليفة المهدي على بيعته له؛ ولكنّه ما لبث أن غير رأيه، وقرّر أن يقدّم عليه أخاه هارون، خضوعاً لرغبة زوجته الخيزران (ت. 173هـ/789م)⁽¹⁾ وأهوائها، وبخاصّة أنّها كانت قويّة النفوذ، كثيرة التدخل في شؤون الدولة⁽²⁾، وكانت تميل إلى ابنها هارون وتفضّل تقديمه على أخيه في ولاية العهد، على الرغم من أنّه أصغر سنّاً. وكان الهادي عندما اتخذ المهدي القرار بعزله بجرجان، فبعث إليه رسالاً من طرفه يطلبون منه الموافقة، فغضب وأبى (ابن خياط، 1985، 439؛ ابن قتيبة، د. ت، 380؛ الجهشيار، 1938، 168؛ ابن كثير، 2010، 418/10)، وعندئذ قرّر المهدي إجباره على ذلك بالقوة، فسار إليه على رأس جيشه، ورافقه ابنه هارون، ولما وصل إلى قرية يقال لها الرّد من أرض ماسبدان⁽³⁾؛ واقته المنية، وذلك في 23 محرم 169هـ/4 أغسطس 785م (ابن خياط، 1985، 439).

وتعددت الآراء حول سبب وفاة المهدي، فقيل أنّه مات ميّنةً طبيعيّةً (الدّينوري، 1330هـ، 365)، وأفاد آخرون أنّه أصيب بجروح خلال مطاردته طبيياً (اليعقوبي، 2010، 345/2؛ الطبري، د. ت، 169/8؛ ابن الطّقطقي، 1966، 181)، وقيل عضّه فرس (ابن كثير، 2010، 410/10)، وأخيراً قيل أنّه مات بالسّم على يد جواريه أو على يد غيرهنّ، وتعددت الروايات حول ذلك⁽⁴⁾. ويتضح من تعدد الروايات أنّ الخليفة لم يمُت ميّنةً طبيعيّةً، وإنّما كانت بفعل فاعلٍ، ولا يُستبعد أن يكون قد قتل مسموماً، وربّما كان للهادي وأعوانه دورٌ في إنهاء حياته قبل وصوله إليه في جرجان؛ وذلك بعد أن أيقن عزمه وتصميمه على تقديم أخيه هارون عليه في ولاية العهد، ولما كان أعوان الهادي قد سيطروا على مجريات الأمور بعد وفاة المهدي؛ فلا بدّ أنّهم قاموا بالتعمية على الجريمة، ما جعل الروايات التاريخية تأتي على هذا النحو من الاختلاف والتناقض. وإذا ما صحّت هذه الفرضية، يكون الخليفة المهدي قد راح ضحية أزمة ولاية العهد التي اقتعلها بنفسه، والتي سوف تتكرر كثيراً في العهود اللاحقة.

وحاولت الخيزران استغلال هذه الفترة الانتقاليّة، وحالة الشغب التي عمّت بغداد من جانب الجند، من أجل تمرير مشروعها القاضي بتحويل الخلافة إلى هارون قبل وصول

(1) الخيزران بنت عطاء: جارية اشترها المهدي من اليمن، وكانت ذات جمال وبهاء وكامل وأنيب، فطمعها على جميع نسلها، وولدت له موسى وهارون، وتوفيت عام 173هـ/789م (ابن أعم، 1991، 372/8؛ المسعودي، 1938، 297؛ العلامي، 1894، 188).

(2) للاطلاع على صورة حول نفوذ الخيزران خلال عهد زوجها المهدي؛ يُنظر: (السروجي، 2016، 31-32).

(3) ماسبدان: من فروع الكوفة، بالقرب من هيت (الحميري، 1984، 519).

(4) للتفاصيل؛ يُنظر: (اليعقوبي، 2010، 346/2؛ الطبري، د. ت، 169/8؛ الجهشيار، 1938، 168؛ الأزدي، 1967، 254؛ المسعودي، 2005، 25/3؛ ابن العربي، 1992، 126/1-127).

(5) يحيى بن خالد بن برمكي: أبو الفضل، أحد أهم وزراء الدولة العباسية، فارسي الأصل، لعب أدواراً مهمّة في دولة المهدي والهادي، ولما الت الخلافة إلى الرشيد استوزرته، ثم نكح (ابن خلّكان، د. ت، 219/6؛ الذهبي، 1996، 89/9-91).

التَّخْلُصُ مِنْهُ لِصَالِحِ ابْنِهَا الْمُفَضَّلِ هَارُونَ، كَمَا سَيَبَيِّنُ لَاحِقاً، وَهَذَا مَا يَفْسِّرُ رَدَّةَ فِعْلِ الْهَادِي الْغَاضِبَةِ وَالْحَاسِمَةِ. وَذَكَرَتْ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ أَنَّ الضَّبِيقَ قَدْ بَلَغَ فِي الْهَادِي مِنْ أُمَّه مَدَاهُ، وَلَمْ يُعَدِّ يَطِيقَ مَجْرَدَ وَجُودِهَا، فَحَاوَلَ قَتْلَهَا بِالسُّمِّ؛ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهَا بِإِوْرَةَ مَسْمُومَةٍ، فَارْتَابَتْ مِنْهَا، وَجِيءَ لَهَا بِكَلْبٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَتَسَاقَطَ لَحْمُهُ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ الْهَادِي بِذَلِكَ قَالَ لَهَا: "لَوْ أَكَلْتِ لَكُنْتُ اسْتَرَحْتُ مِنْكَ. مَتَى أَفْلَحَ خَلِيفَةٌ لَهُ أَمْ؟!" (الطُّبْرِي، د. ت، 206/8)، فَتَمَكَّنَتْ الْوَحْشَةُ وَازْدَادَ التَّنَافُرُ بَيْنَهُمَا، وَاعْتَزَلَتْهُ، وَحَلَفَتْ أَلَّا تَكَلِّمَهُ؛ فَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى وَفَاتِهِ، وَعَقَدَتْ الْعَزْمَ سِرّاً عَلَى قَتْلِهِ (الطُّبْرِي، د. ت، 207/8؛ ابْنُ الْعِمْرَانِي، 1999، 73؛ ابْنُ الْعَبْرِي، 1992، 128/1؛ مَجْهُولٌ، 1871، 289/3)، وَهَذِهِ أَوَّلُ إِشَارَةٍ وَاضِحَةٍ حَوْلَ مَحَاوَلَةِ الْهَادِي قَتْلَ وَالِدَتِهِ، ثُمَّ تَوَعَّدُهَا لَهُ بِالْقَتْلِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْبَاحِثَ يَسْتَبْعِدُ تِلْكَ الْمَجَاهِرَةَ الَّتِي صَدَرَتْ عَنِ الْهَادِي؛ عِنْدَمَا قَالَ لَهَا مَا مَفَادُهُ أَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَرِيحُ مِنْهَا لَوْ كَانَتْ أَكَلَتْ مِنَ الطَّعَامِ الْمَسْمُومِ وَمَاتَتْ.

تَوْجُّسُ الْهَادِي مِنْ نَوَايَا هَارُونَ، وَخُلْعُهُ عَنِ وِلَايَةِ الْعَهْدِ

ظَهَرَتْ مَلَامِحُ هَذَا التَّوَجُّهِ وَعَلَامَاتُهُ قَبْلَ تَوَلِّيِ الْهَادِي عَرْشَ الْخِلَافَةِ، وَلَكِنْ بِشَكْلِ خَفِيِّ، مَا جَعَلَ هَارُونَ، حَسَبَ اعْتِقَادِ الْهَادِي، يُؤَمِّلُ نَفْسَهُ بِقُرْبِ تَوَلِّيِ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ اسْتِنَاداً إِلَى رُؤْيَا أَبِيهِ الْمَهْدِيِّ الَّذِي قَالَ: "أُرَيْتَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي دَفَعْتُ إِلَى مُوسَى قَضِيْباً وَإِلَى هَارُونَ قَضِيْباً، فَأُورِقُ مِنْ قَضِيْبِ مُوسَى أَعْلَاهُ قَلِيلاً؛ وَأَمَّا هَارُونَ فَأُورِقُ قَضِيْبُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ"، وَكَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ دَعَا أَحَدَ مَفْسِّرِي الرُّؤْيَى وَطَلَبَ مِنْهُ تَفْسِيرَهَا، فَقَالَ: يَمْلِكَانِ جَمِيعاً، فَأَمَّا مُوسَى فَتَقَلُّ أَيَّامُهُ، وَأَمَّا هَارُونَ فَيَبْلُغُ مَدَى مَا عَاشَ خَلِيفَةً؛ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ أَحْسَنَ أَيَّامِ (الطُّبْرِي، د. ت، 211/8؛ الْمَسْعُودِي، 2005، 277/3). وَمِنْ نَافِلَةِ الْقَوْلِ أَنَّ اعْتِمَادَ الْهَادِي فِي تَوْجُّسِهِ وَشُكُوكِهِ تَجَاهَ نَوَايَا أَخِيهِ بِنَاءً عَلَى مَجْرَدِ رُؤْيَا لَمْ يَكُنْ مَوْفَقاً؛ لِأَنَّ بَلْ كَانَ مِنَ الْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَرِدَ لَهُ الْجَمِيلُ عَلَى إِحْبَابِهِ لِمَحَاوَلَاتِ الْخِيْزِرَانَ الْقَاضِيَةَ بِتَجْرِيدِهِ مِنْ حَقِّهِ فِي الْخِلَافَةِ بَعِيدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ بَعِيداً عَنِ مَلَاسِيَاتِ التَّنَافُسِ عَلَى السُّلْطَةِ وَالْحُكْمِ؛ حَتَّى يَسْتَمِيلَهُ إِلَيْهِ بَدَلاً مِنْ تَأْلِيْبِهِ عَلَيْهِ.

وَفِي نَهَايَةِ عَهْدِهِ، بَدَأَ تَوْجُّسَ الْهَادِي مِنْ أَخِيهِ يَأْخُذُ طَابِعاً عَلَنِيّاً؛ ذَلِكَ أَنَّهُ بَيْنَمَا جَالِساً فِي مَجْلِسِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ وَقَدْ جَلَسُوا عَنِ يَسَارِهِ؛ دَخَلَ أَخُوهُ هَارُونَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَبَّلَ يَدَهُ، وَجَلَسَ عَنِ يَمِينِهِ، فَأَطْرَقَ الْهَادِي يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا هَارُونَ، كَأَنِّي بِكَ تَحَدَّثْتُ نَفْسَكَ بِتَمَامِ الرُّؤْيَا، وَتَوَمَّلْ مَا أَنْتَ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَدُونَ ذَلِكَ خَرَطَ الْقِتَادَ؛ تَوَمَّلِ الْخِلَافَةَ!"، فَبَرَكَ هَارُونَ عَلَى رِكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: "يَا مُوسَى؛ إِنَّكَ إِنْ تَجَبَّرْتَ وَضَعْتَ، وَإِنْ تَوَاضَعْتَ رُفِعْتَ، وَإِنْ ظَلَمْتَ خُتِلْتَ؛ وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَفْضِيَ الْأَمْرَ إِلَيَّ؛ فَأَنْصِفُ مِنْ ظَلَمْتِ، وَأَصِلُ مِنْ قَطَعْتَ، وَأَصْبِرُ أَوْلَادَكَ أَعْلَى مِنْ أَوْلَادِي، وَأَزْجُوهُمْ بِنَاتِي،

2005، 272/3)، وَحِينَهَا بَدَأَ يُبْدِي تَذَمُّرَهُ بِقَوْلِهِ: "مَا لِلنِّسَاءِ وَالْكَلامِ فِي أَمْرِ الرِّجَالِ!" (الطُّبْرِي، د. ت، 206/8-207). وَوَصَلَ الْأَمْرُ بِالْخِيْزِرَانَ أَنْ طَلَبَتْ مِنَ الْهَادِي تَوَلِّيَةَ أَخِيهَا الْغَطْرِيفِ بْنِ عَطَاءٍ (ت. 170هـ/786م) (1) عَلَى الْيَمَنِ، فَأَبْدَى مَوَافَقَتَهُ، وَلَكِنَّهُ مَقَابِلَ ذَلِكَ قَامَ بِتَطْلِيْقِ زَوْجَتِهِ عَبِيدَةَ بِنْتِ الْغَطْرِيفِ؛ بِسَبَبِ أُلْبُسٍ فِي الْفَهْمِ حَصَلَ خِلَالَ مَدَاوِلَاتِهِ مَعَ أُمَّهِ (الْمَسْعُودِي، 2005، 272/3؛ الْأَصْبَهَانِي، 2008، 110/14)، مَا أَسْهَمَ فِي زِيَادَةِ التَّوْتُرِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، إِلَّا أَنَّ مَا جَعَلَ صَدْرَهُ يَضِيقُ بِأَمِّهِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ؛ شَعُورُهُ بِالْإِحْرَاجِ وَالْخَجْلِ مِمَّا تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ مِنْ ذِكْرِ قُوَادِهِ لَهَا فِي مَجَالِسِهِمْ، حَوْلَ تَدَخُّلِهَا فِي شُؤْنِهِ؛ فَعِنْدَمَا أَنْشَدَ أَبُو الْمَعَاظِي (ت. 180هـ/796م) (2) مَدِيحاً فِي مُوسَى وَهَارُونَ: يَا خِيْزِرَانَ هُنَاكَ ثُمَّ هُنَاكَ.. إِنَّ الْعِبَادَ يَسُوْسُهُمْ ابْنَاكَ؛ قَالَ لَهُ الْهَادِي: لَا تَذْكَرْ أُمَّيْ بَخِيْرٍ وَلَا يَشْتَرِ (الطُّبْرِي، د. ت، 223/8)، ثُمَّ جَمَعَ قُوَادَهُ وَرِجَالَ دَوْلَتِهِ وَحَدَّرَهُمْ مِنْ مَعْبِيَةِ الْإِسْتِمْرَارِ بِالْخَوْضِ فِي سِيرَتِهَا أَوْ الْوَقُوفِ بِبَابِهَا (الطُّبْرِي، د. ت، 207/8)، وَعِنْدَمَا زَارَهَا؛ طَلَبَ مِنْهَا الْكَفَّ عَنِ التَّدَخُّلِ فِي شُؤْنِ الدَّوْلَةِ، قَائِلاً: "لَيْسَ مِنْ قَدْرِ النِّسَاءِ الْإِعْتِرَاضُ فِي أَمْرِ الْمُلْكِ؛ وَعَلَيْكَ بِصَلَاتِكَ وَتَسْبِيْحِكَ وَتَبْتَلُّكَ؛ وَلَكِنْ بَعْدَ هَذَا طَاعَةِ مِثْلِكَ فِيمَا يَجِبُ لَكَ" (الطُّبْرِي، د. ت، 205/8)، وَيَعُدُّ هَذَا الْمَوْقِفَ مِنْ جَانِبِ الْهَادِي بَاكُورَةَ الْمَوَاقِفِ الْمُنْتَظَرَةِ تَجَاهِهَا؛ إِذْ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ كَلَّمَهَا بِهَذِهِ الصَّرَامَةِ وَالْحَدَّةِ مِنْ قَبْلِ.

وَمِمَّا زَادَ الطَّيْنَ بِلَّةً، الطَّلَبُ الَّذِي تَقَدَّمَتْ بِهِ الْخِيْزِرَانَ لِصَالِحِ صَاحِبِ الشَّرْطَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ (ت. 212هـ/827م) (3)، وَلَمْ تَقْصَحِ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ عَنِ مَا هَيَّئَتْهُ فَرَضُهُ مُتَعَلِّقاً بِعَدْرِ مَا (الطُّبْرِي، د. ت، 205/8؛ الْمَسْعُودِي، 2005، 272/3)، وَلَكِنَّهَا أَلْحَتْ عَلَيْهِ، فَغَضِبَ وَكَرَّرَ رَفْضَهُ لَطَلِبِهَا، فَقَالَتْ: "إِذَا وَاللَّهِ لَا سَأَلْتِكَ حَاجَةً أَبَدًا، قَالَ: إِذَا وَاللَّهِ لَا أَبَالِي"، وَهَدَّدَ إِنْ سَمِعَ أَنَّ أَيَّاماً مِنْ قُوَادِهِ أَوْ خَاصَّتَهُ قَدْ وَقَفَ بِبَابِهَا فَسَوْفَ يَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيَصَادِرُ أَمْوَالَهُ، وَمِمَّا قَالَهُ لَهَا أَيْضاً: "أَمَا لَكَ مَغْزَلٌ يَشْغَلُكَ، أَوْ مُصْحَفٌ يَذْكَرُكَ، أَوْ بَيْتٌ يَصُونُكَ! إِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَحِيَ بَابَكَ لِمَسْلَمٍ أَوْ لِدَمِي" (الطُّبْرِي، د. ت، 206/8؛ ابْنُ الطَّفِطَقِيِّ، 1966، 191). وَيَبْضَحُ مِمَّا ذَكَرَ أَنَّ الْخِيْزِرَانَ لَمْ تَزَلْ تُعْمَعُ فِي حَشْرِ أَنْفِهَا فِي شُؤْنِ الدَّوْلَةِ إِلَى مَا بَعْدَ طَلَبِ قِضَاءِ الْحَاجَاتِ الشَّخْصِيَّةِ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ تَحَاوُلُ التَّحْكُمِ فِي مَسَائِلِ سِيَادِيَّةِ كَتَعْبِيْنَ الْوَلَاةِ وَالتَّدَخُّلِ فِي شُؤْنِ خَطَّةِ الشَّرْطَةِ، وَرَبِّمَا هَدَفَتْ مِنْ رِوَاءِ ذَلِكَ خَلْقَ حَالَةٍ مِنَ الْإِصْطِفَافِ الرَّسْمِيِّ حَوْلَهَا؛ حَتَّى تَتَمَكَّنَ مِنْ تَمْرِيرِ مَشْرُوعِهَا فِي خَلْعِ الْهَادِي أَوْ

(1) الْغَطْرِيفُ بْنُ عَطَاءٍ: يُدْعَى نَسَباً فِي بَنِي الْخَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَهُوَ خَالَ الْهَادِي وَوَالِيَهُ عَلَى الْيَمَنِ، وَإِلَيْهِ تُسَبُّ طَلَقَاتُ الْغَطْرِيفِ فِي الْحِجَةِ الْغَرَبِيَّةِ مِنْ بَغْدَادِ تَوَفَى عَامَ 170هـ/786م (الْحَمَوِي، 1995، 5/4؛ ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي، 1992، 83/2).
(2) أَبُو الْمَعَاظِي الْغَزَنِي: يَعْجُوبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، يُدْعَى أَيْبَا الْبِنَاجِ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْغِيَاثِ بْنِ مُحَمَّدِ الْهَاشِمِيِّ (ت. 186هـ/802م) (الزُّرْكَانِي، 2002، 196/8).
(3) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخَزَاعِيِّ: صَاحِبُ شَرْطَةِ الْمَهْدِيِّ وَالْهَادِيِّ وَالزُّشَيْدِيِّ، وَبَقِيَ يَتَبَوَّأُ مَنَاصِبَ مَهْمَةً فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ حَتَّى وَفَاتِهِ (الْمَرْزُبَاتِي، 2005، 571).

الشَّيباني (ت. 185هـ/801م) (5) أوّل من خلع هارون وبيع لجعفر من غير بني هاشم، وتبعهم آل مالك، وفي مقبّلتهم عبد الله بن مالك، ثمّ عليّ بن عيسى بن ماهان (ت. 200هـ/815م) (6) (الطُّبري، د. ت، 207/8؛ الجهشيار، 1938، 174)، وأبو هريرة محمّد بن فروخ (ت. 171هـ/787م) (7) (اليقوبي، 2010، 350/2)، ثمّ شراحيل بن معن بن زائدة وأهل بيته، وسعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي (ت. 217هـ/732م) (8)، ثمّ مشايخ العرب والقوادم، وما أن انتصف النّهار حتّى بايعه جمع غفير (ابن أبي أصيبعة، د. ت، 221)، ليس حرصاً على مصلحة الدولة، وإنّما تقرباً إلى الهادي، "ورغبةً فيما يصل إليهم من الإيعاز" (الجهشيار، 1938، 174)، فأصبح جعفر بذلك ولياً لعهد الهادي على الرّغم من صغر سنّه، إذ كان لا يزال طفلاً كما ذكر سابقاً، ولم يدرك الهادي وقتذاك حجم التّحديات التي تتربّص به خلال الأيّام القادمة، بسبب هذا القرار المتسرّع، الذي لا يمكن تفسيره إلا في إطار سوء التّدبير، وانعدام المسؤوليّة لدى حاشيته، ورغبته في جعل الخلافة حكرًا على أبنائه وذريته.

وانفرد ابنُ أبي أصيبعة (د. ت، 221-222) بروايةٍ طويلة حول امتناع هرثمة بن أعين (ت. 200هـ/816م) (9) عن مبايعة جعفر، ومفادها أنّه لمّا طلب الهادي منه خلع هارون ومبايعة ابنه الطفل؛ أصرّ على موقفه بمواصلة مبايعته له خليفةً ولهارون ولياً للعهد، وأضاف ابنُ أعين ما يعكس قناعاته بأنّ بيعته لهارون مشفوعةً بالأيمان، وإنّه إنّ حنث بها وخلع اليوم هارون فسوف يخلع جعفرًا غدًا. فاستشاط الهادي غضباً من قوله، وهمت جماعةٌ من مواليه وقواده بقتله، فنهاهم عنه واكتفى بتوبيخه وطرده وإسقاط قيادته. وبعد أن خرج أمر خادمه يتدوّن باللاحق به وإحضاره ثانيةً، فلحقه فيما بين باب خراسان وباب بردان (10)، بالقرب من موضع يدعى باب النّقب قرده، ولمّا دخل عمد الهادي إلى إهانتته بقوله: "يا حائك، بايع لجعفر أهل بيت أمير المؤمنين ووجوه العرب والموالي والقوادم، وثمسك أنت عن البيعة! فقال هرثمة: يا أمير المؤمنين، وما حاجتك إلى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من أشراف النّاس!!" وبقي هرثمة على موقفه، وحينها وبّخ الهادي الحاضرين وقرّعهم على غدرهم، وأناد بصديق هرثمة، ثمّ أمر له بخمسين ألف درهم، وأقطع الموضع الذي لحقه فيه خادمه، فسَمي ذلك الموضع عسكر هرثمة.

وأبلغ ما يجب من حقّ الإمام المهدي، فأجلسه الهادي في صدر مجلسه، ثمّ أمر وزيره إبراهيم بن ذكوان الحراني (1) بإعطائه ألف ألف دينار ونصف الخراج، وجعل تحت تصرّفه خزائن المال (الطُّبري، د. ت، 211/8؛ المسعودي، 2005، 277/3)، وما أخذ من "أهل بيت اللعنة"، ويعني بني أميّة، وليأخذ منها ما يشاء (ابن الأثير، 1987، 271/5). ورثما جاء هذا السّخاء مقدّمةً من أجل إقناع هارون بالتنازل عن ولاية العهد لصالح جعفر بن الهادي (2).

لم تتطرق المصادر التاريخيّة بشكلٍ مباشرٍ إلى الأسباب التي دفعت الهادي إلى اتّخاذ قرارٍ بصرف ولاية العهد عن أخيه هارون لصالح ابنه جعفر، وعزا اليقوبي ذلك بقوله: "وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة، فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر وليّ العهد" (اليقوبي، 2010، 350/2). وكان ابنه هذا لا يزال طفلاً (الطُّبري، د. ت، 211/8؛ الجهشيار، 1938، 169)، لم يبلغ من العمر سوى سبع سنوات (ابن حزم، د. ت، 20)، وقيل عشر (ابن تغري بردي، د. ت، 131/1). ويهدف إضفاء هالةٍ دينيّةٍ على ولايته؛ أطلق الهادي عليه لقب: النّاطق بالحقّ (3) (ابن العمراني، 1999، 73)، ثمّ بدأ بحشد التأييد لهذه الخطوة، ودعا كبار قاداته إلى الوقوف إلى جانبه، إلا أنّ عمّتهم أثاروا عليه ألا يفعل، وفي مقبّلتهم الوزير إبراهيم بن ذكوان الحراني والفضل بن الربيع بن يونس (ت. 208هـ/824م) (4)، وأما البعض فشجّعوه، وأوهموه بأنّ الملوك سوف يفسد إن صار إلى هارون (اليقوبي، 2010، 350/2).

ولم يحفل الهادي بنصائح المعارضين لهذا القرار، وازداد إصراراً على تنفيذه، على الرّغم من أنّه لم يكن واثقاً من قدرته على تنفيذه؛ نظراً لعدم ميل موازين القوى الداخليّة لصالحه، وبخاصّةٍ في ظلّ وجود الخيزران والبرمكي في الخندق المقابل، وما لهما من نفوذٍ كبيرٍ في مفاصل الدّولة، فضلاً عن الشّعبيّة التي كان هارون يحظى بها في الأوساط الشّعبيّة وبين بني العبّاس، ولما له من الفطنة والدّكاء وقوّة الشّخصيّة، التي كانت موضع تقديرٍ وإعجابٍ بسبب شجاعته في الحروب (الجعفري، 2010، 206؛ السروجي، 2016، 34).

ومهما يكن، فقد أحضر الهادي بعض وجوه بني هاشم، وأحفاهم على خلع هارون والمبايعة لجعفر (ابن أبي أصيبعة، د. ت، 221)، ثمّ حضر آل زائدة، فكان زعيمهم يزيد بن مزيد

(5) يزيد بن مزيد بن زائدة بن عبد الله الشَّيباني: أبو خالد، من الأمراء والقادة الشَّعبان، عزله الرّشد عن ولاية أرمينية عام 172هـ/788م، ثمّ ولاه إياها وضمّ إليه أنريجان عام 183هـ/799م، وتوفي بعد ذلك بعامين (ابن خلكان، د. ت، 327/6).
(6) علي بن عيسى بن ماهان: الأمير، من كبار القادة العسكريين، وممن أثاروا على الأمين بخلع المأمون عن ولاية العهد، قتل بظاهر الرّي عام 200هـ/816م تقريباً (الصنفي، 2000، 246/21).
(7) مخد بن فروخ الأزدي: أبو هريرة، أحد كبار القادة العسكريين في عهد المهدي والهادي، ولما تولى الرّشد الحكم؛ قبض عليه وقتله عام 171هـ/787م (الطُّبري، د. ت، 235/8).
(8) سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: بصريّ الأصل، وكان عالماً بالحديث والعربية. ولي أرمينية والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة للمنصور والمهدي والهادي والمأمون، وتوفي عام 209هـ/824م أو 217هـ/732م (ابن حزم، د. ت، 235؛ الخطيب البغدادي، 2001، 106/10؛ الصنفي، 2000، 140/15؛ ابن تغري بردي، 1992، 234/2).
(9) هرثمة بن أعين: من كبار القادة العسكريين والولاة العباسيين الأتقاء، خلال عهد المهدي والهادي والرّشد. قتل عام 200هـ/816م (اليقوبي، 2010، 357/2).
(10) باب بردان: تسمية إلى بردان أو بردان التي تبعد عن بغداد أربعة فراسخ (ابن قدامة، 1981، 110).

(1) إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحراني: من موالي المنصور، ومن رجالات الخليفة المهدي. عبّه الهادي وزيراً بعد الرّبيع بن يونس، وتعد صلة الهادي بإبراهيم إلى عهد الصّفا، حيث كان معلماً للهادي، فصار الأخير لا يصير على فراقه (ابن المظني، 1966، 192).
(2) جعفر بن الهادي: وُلد عام 163هـ/780م، وعندما كبر تزوّجه عمّه الرّشد من ابنته حمدونة (الأزدي، 1967، 243؛ الصنفي، 2000، 120/11).
(3) عندما قرّر الخليفة الأمين (193-198هـ/809-813م) خلع المأمون (198-218هـ/813-833م) عن ولاية العهد، واستأذنها لابنه الأمير موسى (ت. 209هـ/824م)، أطلق عليه أيضاً لقب النّاطق بالحقّ (ابن تغري بردي، 1992، 233/2).
(4) الفضل بن الرّبيع بن يونس: أبو العبّاس، من رجال العلم والنباهة، وُلّي حجابة الهادي، ومات الرّشد والفضل معيقاً على حجابته، ثمّ قام بخلافة الأمين وساق إليه خزائن الرّشد، والبردة والفضيب والخاتم وشارات الخلافة، ورزق له خلع المأمون عن ولاية العهد لصالح موسى بن الأمين، ولما قتل الأخير؛ عفا المأمون عنه، ومات عام 208هـ/823م (الأذهبي، 1996، 109/10؛ الصنفي، 2000، 31-30/24).

ثمنه مائة ألف دينار يقال له "الجبيل"، كان أبوه المهدي قد أهده إياه، فأحضر الهادي يحيى بن خالد البرمكي، وقال له: إن لم يحضرني الخاتم قتلتك، فذهب يحيى إلى هارون، وكان في قصر الخلد، وأخبره بالأمر، فظاهر هارون أنه سيذهب إلى عيساباذ لتسليمه الخاتم، ولما وصلا إلى الجسر وتوسطا نهر دجلة رمى هارون الخاتم في النهر، ولم يسلمه للهادي. ويسوق بعض المؤرخين روايةً خياليةً مفادها أن هارون عندما استخلف أتى ذلك المكان ومعه خاتم من رصاص، فرماه وأمر الغواصين باستخراج الخاتم الأول، فكان أحب خواتمه إليه (الطبري، د. ت، 232/8؛ الجهشيار، 1938، 174؛ مجهول، 1871، 290/3)، وعُد ذلك من بشائر سعادته وبقاء ملكه (أبو شامة، 1997، 439/1). ويبدو أن هذه الأساليب لم تفت في عضد هارون ومناصره، لا بل ازداد الأخير تعنتاً في موقفه، وعندما أدرك الهادي ذلك، وجد أنه لا بد من استنفاد جهوده من خلال اللجوء إلى البرمكي في محاولة لإقناعه بدفع هارون إلى التنازل لجعفر.

سياسة الهادي تجاه يحيى البرمكي ومحاولة إقناعه بدفع هارون إلى التنازل

انقسمت شخصيات الدولة إلى فريقين؛ ما بين مؤيد للخليفة الهادي، وآخر مناصر لهارون كوالده الخيزران ويحيى بن خالد البرمكي، ومارس الأخير أساليب استخبارية بهدف التجسس على الهادي والتعريف على خطته ونواياه، حيث قام باستمالة إسماعيل بن صبيح صاحب ديوان الزمام⁽³⁾، وكلفه بالأمر، ولكن الخليفة اكتشف ذلك، وحينها نصح يحيى إسماعيل بالفرار إلى حران⁽⁴⁾، ففعل (الطبري، د. ت، 207/8؛ الجهشيار، 1938، 168). ويبدو أن الهادي كان يدرك بأن استمرار مناصبة البرمكي العداء لن تجدي نفعاً، وبخاصة أنه كان يدرك مدى تأثير يحيى في هارون، ولهذا فكر في استمالاته لصالحه واستغلال نفوذه لدى الخيزران من أجل إقناع هارون بالتنازل عن ولاية العهد، دون أن يترتب على ذلك أية تداعيات سلبية على الدولة؛ فبعث إلى يحيى ليلاً، فأيس الأخير من نفسه، وودع أهله، وذهب لمقابلة الخليفة، الذي عاتبه على تدخله في علاقته مع أخيه قائلاً: "فلم تدخل بيني وبين أخي وتفسده عليّ!"، فرد يحيى: "يا أمير المؤمنين، من أنا حتى أدخل بينكما! إنما صيرني المهدي معه، وأمرني بالقيام بأمره؛ ففقت بما أمرني به، ثم أمرتني بذلك فانتهيت إلى أمرك"، فهدأت نفس الخليفة (الطبري، د. ت، 208/8). ومن الواضح أن البرمكي يظهر في حضرة الخليفة ما لا يبيّن ذلك أنه في الوقت الذي يتوحي فيه تجنّب غائلة الخليفة، يسعى بكل ما أوتي من دهاء إلى تحريض هارون، بالتواطؤ مع

وعلى الرغم من إدراك الهادي لغدر رجال حاشيته ومستشاريه، وفي الوقت نفسه تظاهرة بالافتناع بما قاله هرثمة؛ إلا أنه في الحقيقة كان مصراً على إجبار هارون على التنازل عن حقه. وتجنباً لأية تداعيات سلبية؛ حاول مرةً أخرى إغراءه بالمال والصّياح مقابل تنازله، فأذعن هارون بالفعل لرغبة أخيه، مقابل قيام الهادي بمنحه وزوجته أم جعفر، ابنة عمّه، منطقة الهنيّ والمري⁽¹⁾، ولكن هارون ما لبث تراجع بفعل الضّغط الذي مورس عليه من جانب أمّه الخيزران ويحيى بن خالد بن البرمكي، الذي قال له بأن الخلافة أعظم من هذا كله، ثم إن الهادي سوف ينتزع منك ما منحك لك بعد أن توافق على الخلع، ومن ناحية أخرى، تناهى ذلك إلى أسمع أعداء البرمكي وخصومه، فبدأوا يوغرون صدر الخليفة، الذي ازداد غضباً منه، ودعوه أيضاً أن يبعث إلى يحيى وأن يرميه بالكفر ويهدده بالقتل (الطبري، د. ت، 208/8؛ الجهشيار، 1938، 169-170؛ ابن الأثير، 1987، 270/5؛ مجهول، 1871، 285/3). ويتضح من ذلك أن هارون لم يكن يعارض التنازل، ولم يجد غضاضة من الموافقة على تقديم جعفر عليه، لولا إلحاح الخيزران ويحيى البرمكي وتحريضهما له على رفض عروض أخيه وإغراءاته، والحفاظ على حقه الشرعي في ولاية العهد والخلافة، وهذا ما أكدته بعض المراجع الحديثة (محمد، 1993، 152؛ الجعفري، 2010، 207).

وبالتوازي مع ما ذكر، طفق رجال التيار المؤيد للخليفة، وبخاصة يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلي بن عيسى بن ماهان، يحرضون على هارون ويتعمدون إهانته ومضايقته، فتكلموا في حقه وأنقصوا من قدره في المجالس، وجهروا بذلك، وأمعن الهادي بنفسه في التقليل من شأنه والإضرار بهيبته، فأمر ألا يسار أمامه بحربة. وكان هذا الأسلوب متبعاً لدى الخلفاء إذا ما أرادوا خلع أحدٍ عن ولاية العهد، فاجتنب الناس هارون وتركوه؛ فلم يكن أحدٌ يجرو على الاقتراب منه أو السلام عليه (الطبري، د. ت، 207/8؛ ابن الأثير، 1987، 270/5). وإمعاناً في إذلال هارون والحط من قدره؛ ففي أحد الأيام خرج مع ابن أخيه جعفر بن موسى الهادي راكبين في موكبٍ ومعهما القائد أبو عصمة، فوصلا قنطرة من قناطر عيساباذ⁽²⁾، وحينها التفت أبو عصمة إلى هارون، وقال له: مكانك حتى يجوز وليّ العهد، فقال هارون: السّمع والطّاعة للأمر؛ ووقف حتى جاز جعفر، فتأكد هارون أن أخاه ماضٍ في طريق عزله عن ولاية العهد، وبأنه قد أوعز لحاشيته بالتعامل مع جعفر أنه الخليفة القادم. ومن وسائل الضّغط التي مارسها الهادي على هارون، محاولته مصادرة خاتم نفيس

(1) ويقال لها أيضاً: الهينة والغزرة (مجهول، 1871، 286/3)، ضيعة من أعمال الرّقة بالشّام، على ضفاف نهر، وتشتهر بكثرة أشجار الزيتون (الجهشيار، 1938، 169؛ البري، د. ت، 1356).

(2) عيساباذ: موضع من سواد العراق، يقع إلى الشرق من بغداد، وياد بالفارسية تعني: عمار، نسبت إلى عيسى بن المهدي، وفي عام 781هـ/164م بنى فيها المهدي قصر السّلامة، ثم استنقته الهادي واتخذ منه منزلاً ومقرّاً دائماً لحكمه (اليعقوبي، 2010، 348/2؛ الطبري، د. ت، 150/8؛ ابن حنّان، 1973، 326/2؛ ابن الجوزي، 1995، 213/8؛ الحاشية؛ الهامي، 2013، 360).

(3) ديوان الزّمام: استحدثه الخليفة المهدي عام 162هـ/779م، ذلك أنه وبعد أن تعدّت الدّواوين وأضحت أعمالها، أصبح من الصعب الإشراف عليها وضبط شؤونها الإدارية والمالية، فصار لكل ديوان زمام، وهو رجل يضبطه، ويشبه هذا الديوان ديوان الرّقبة المالية اليوم، وكان من مهامه أيضاً الإشراف على جمع ضرائب الأقاليم العنفة على الموارد الثّغينة (الطبري، د. ت، 142/8، 167؛ الجهشيار، 1938، 146؛ ابن تغري بردي، 1992، 54/2؛ وينظر أيضاً: الهامي، 2013، 362).

(4) حران: مدينة شماليّ الشّام، من ديار مضر، قليلة الشجر والماء، مسوّرة، لها قرى متصلة (الحميري، 1984، 191).

أيضاً بروز الفرق بين أصحاب المبادئ الثابتة، على الرغم مما انطوت عليه من دهاءٍ ومكر، وبين مواقف الخليفة المترددة، المعيرة عن انفصام في الشخصية، فضلاً عن ذلك؛ فقد اعتقدوا وهماً أنّ الأخطى والهيئات والإغراءات يمكن أن تغير من مواقفهم. ومع ذلك، وعلى الرغم من إدراكهم لعبيئية هذا التقارب، فقد عاد موالى الهادي وقواده إلى سيرتهم الأولى في التحريض والسعي ضدّ البرمكي لدى الخليفة، وأقنعوه بضرورة تجديد العزم على خلع أخيه، ولو تطأب الأمر استخدام القوة، وتوافق ذلك مع ازدياد غضب الهادي من هارون، فضيق عليه، ما جعل الأخير في موقفٍ خطير، وحينها أشار يحيى على هارون باستئذان أخيه في الخروج إلى الصيّد، وأن يطيل التّشاغل بذلك؛ حتّى يبعده عن الخطر، فلا يُجبر إلى التنازل، وكان يحيى يراهن على قصر مدّة حكم الهادي؛ فقد أُفيد أنّه لما ولد الهادي بالرّي قال أحد المنجّمين أنّ عمره سيكون قصيراً. ولما أذن لهارون مضى إلى قصر مقاتل⁽²⁾، وقيل أنّه سار إلى شاطئ الفرات من بلاد الأنبار وهيت، وتوسط البرّ ممّا يلي السّماوة⁽³⁾، فطالت غيبته، ما أثار حنق أخيه عليه، وجعل يكتب إليه بالعودة، فيتعلّل هارون ببعض الأسباب حتّى تفاقم الأمر بين الأخوين، فأظهر الهادي ورجاله غلظةً في مهاجمة هارون وشتمه (الطّبري، د. ت، 210/8؛ المسعودي، 2005، 276/3؛ ابن خلدون، 2000، 272/3). ومنذ ذلك، على ما يبدو، سوف تتسارع نزعة الانتقام بين الطرفين، إلى درجةٍ أصبح بموجبها لا بدّ لكلّ طرف من أن يعمل جاهداً من أجل التخلّص من الآخر.

الصراع الأخير بين أطراف النزاع قبيل موت الهادي

عندما بدأ يتكشف للهادي نفاق البرمكي وألعيه؛ استدعى هرثمة بن أعين، وأعرب له عن تذمّره من تصرّفات يحيى، ووصفه بالكلب الملحد، الذي يعمل على تأليب رجال الدولة الجيش عليه، وبأنّه يريد قتله ليسوق الخلافة إلى هارون. وأمره بقتلها، وأن يأتيه برأس هارون، وأن يُخرج الطالبين من سجنهم ويقتلهم، ثمّ يذهب إلى الكوفة فيحرقها بعد إخراج العباسيين منها، فنصح هرثمة ألا يفعل، وفي الوقت ذاته وافق على تنفيذ ما أمره به؛ خوفاً من عواقب الرّفص (التنوّخي، 1978، 19/3؛ ابن العمراني، 1999، 73؛ مجهول، 1871، 286/3-287). وعلى ما يبدو أنّ الهادي نفسه تراجع عن هذه الفكرة واستبدلها بإصدار أوامره لأبي هريرة بالخروج على رأس جيش لإجبار ولاة الدولة على مبايعة ابنه جعفر ولياً للعهد، فخرج (اليقوي، 2010، 350/2). وإزاء هذه التّطوّرات خافت الخيزران على هارون من بطش أخيه وأعوانه، وبخاصّةٍ بعد أن تناهى إلى أسماعها ما كان يُراد به، فدفعته غريزة الأمومة إلى التراجع عن موقفها الأوّل في

الخيزران، على التمسك بموقفه، حرصاً منه على مصالحه الشخصية، سواءً كان ذلك في عهد الهادي، أو في العهد الموعد.

ومرة أخرى؛ فقد بعث الهادي من مقرّ إقامته بعيساباذ إلى البرمكي، وبالغ في إكرامه، وأهداه خاتماً من الياقوت الأحمر، وتكلّم في أمر هارون، ثمّ أراد الهادي أن يختبر مدى إخلاصه؛ فطلب منه إلقاء القبض على إبراهيم الموصلي^(ت). 188هـ/804م⁽¹⁾، فأتى به، وفي أحد الأيام طلب الهادي من الرّبيع بن يونس أن يدعو له البرمكي، فبعث إليه، فدخل على الخليفة، فما زال يدينه حتّى أجلسه بين يديه، وقال له: "إنّي كنت أظلمك وأكفرك، فاجعني في جلد، فتعجّب الناس من إكرامه إيّاه وقوله؛ فقَبّل يحيى يده وشكره"، ثمّ قال له الهادي: أنت الذي يُقال فيك يا يحيى: لو يمسّ البخيل راحةً يحيى.. لسَخّث نفسه ببذل النّوال، فقال: تلك راحتك يا أمير المؤمنين، ثمّ أمر الهادي له بإقطاع ووصله بعشرين ألف دينار (الطّبري، د. ت، 208/8-209؛ الجهشياري، 1938، 170؛ ابن الطّقطقي، 1966، 198)، وطلب منه إقناع هارون بالتنازل لجعفر، فقال يحيى: "يا أمير المؤمنين؛ إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم؛ وجرّأتهم على حلّ العقود، وإن تركتهم على بيعة أخيك؛ ثمّ بايعت لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعتة، فقال: صدقت ونصحت؛ ولي في هذا تدبير" (الطّبري، د. ت، 209/8).

ويبدو أنّ قوّاد الهادي ورجال حاشيته الذين يحرضونه على التمسك فكرة الخلع قد هالهم التقارب بين الهادي والبرمكي، وبخاصّةٍ بعد أن علموا أنّ الخليفة قد بدأ يميل إلى الاقتناع برأي البرمكي، فسعوا فيه لدى الخليفة فحبسه، وأصبح أكثر تصميماً من ذي قبل على خلع أخيه، ثمّ طلب يحيى من محبسه لقاء الخليفة للتداول في أمر هارون وإسداء النّصح، فخاطبه قائلاً: "يا أمير المؤمنين؛ رأيت إن كان الأمر - أسأل الله ألا نبغعه، وأن يقمنا قبله - أنظنّ أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر؛ وهو لم يبلغ الحلم، ويرضون به لصلاتهم وحجّهم وغزوهم! قال: والله ما أظنّ ذلك"، ونبّه يحيى الخليفة من خطر الأمراء الهاشميين المتربّصين بالخلافة، وقال أيضاً: "لو أنّ هذا الأمر لم يُعقد لأخيك، أما كان ينبغي أن تعقده له، فكيف بأن تحلّه عنه، وقد عقده المهدي له!؛ ولكن أرى أن تقرّ هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله؛ فإذا بلغ جعفر، وبلغ الله به، أنتيه بهارون فخلع نفسه، وكان أوّل من يبايعه ويعطيه صفقة يده"، فقَبّل الهادي قوله ورأيه، وأمر بإطلاقه (الطّبري، د. ت، 209/8؛ الأزدي، 1967، 260).

ولا تكاد الروايات الأخيرة حول البرمكي تختلف كثيراً عمّا ورد في نظيرتها حول هرثمة بن أعين؛ وما يلف النّظر

(1) إبراهيم الموصلي: ابن مامان بن نَهْمَن، وُلد في الكوفة من أسرة فارسيّة الأصل، مات أبوه وهو صغير فكلّه أخواله، وعندما شبّ استقرّ في الموصل، ونفع في الغناء والتّمر والأدب، وصار من أشهر المغنّين في عهد المهدي والهادي والرّشد، تُوفي ببغداد عام 188هـ/804م (الأصفهاني، 2008، 103-102/5؛ الصّندي، 2000، 65/6).

(2) قصر مقاتل: يقع في منطقة الكوفة، وينسب إلى مقاتل بن حستان بن ثعلبة (الهمداني، 1302 هـ، 182).

(3) السّماوة: تقع جنوب العراق، بين الكوفة والنّجف (الحميري، 1984، 322).

(الطبري، د. ت، 205/8؛ ابن نغري بردي، د. ت، 130/1)، وقال ابن أعثم الكوفي (1991، 372/8): مات الهادي "من تلك الخبيثة التي ظهرت برجله". وذهب ابن الجوزي (1995، 335/8) مذهب ابن أعثم في رواية عن أبي بكر، محمّد بن يحيى الصولي (ت. 336هـ/947م)، فقال أنه خرج على ظهر قدمه بئرة فصارت كاللوزة، فافئصد ومات بعد ثلاثة أيام. وأتى السيوطي (2003، 222-223) برواية تُفيد بتعرّض الهادي لحادث، ذلك "إنه دفع نديماً له من جرفٍ على أصول قصبٍ قد قُطع، فتعلّق النّديم به فوق، فدخلت قصبته في منخره، فماتا جميعاً". ولا يُستبعد أن يكون مرضٌ خبيثٌ قد ألمّ بالهادي، وبقي يتفاعل إلى أن ظهرت أعراضه وآلامه بصورة يصعب معها الاحتمال، وأما الرواية الأخيرة فهي من النّوع الخياليّ الذي يصعب تصديقه.

وذكرت المصادر التاريخية أنّ جهوداً طبيّةً قد بُذلت من أجل إنقاذ حياته، من جانب أطبائه وصيدلته أبي قريش عيسى النّصراني وعبد الله الطّيفوري ودواد بن سرافيون (أو سرايون)، ولكنهم فشلوا في ذلك، فقال لهم: أنتم تأكلون أموالي وجوائزني؛ وفي وقت الشّدّة تتغافلون عني!، فقال له أبو قريش: علينا الاجتهاد والله يهب السّلامة، فاعْتَظ من ذلك، وحينها قال له الفضل بن الرّبيع: قد وُصف لنا بنهر صرصر⁽²⁾ طبيبٌ ماهرٌ يُقال له بخنثشوع بن جورجس (ت. 213هـ/828م) من جنديسابور. ولما سمع الهادي قول الفضل، أمر بإحضار بخنثشوع وضرب أعناق أطبائه الحاضرين، إلا أنّ الفضل لم يفعل؛ لأنّه كان أمنأ منه لعلمه باختلاط عقله من شدّة المرض، ووجّه إلى صرصر من أحضر الطّبيب، وأمر الهادي بعشرة آلاف درهم لصرّفها على علاجه ودوائه، ولما دخل الطّبيب عليه وعينه، تيقن أنّ شفاءه مستبعد، وسأله الخليفة عن قارورة الدّواء، فقال له: نعم يا أمير المؤمنين، وها أنا أصنع لك دواءً تأخذه، وبعد تسع ساعات فسوف تبرا، وما قال له ذلك إلا لتسكن به نفسه، ولما خرج من عنده قال للأطباء: لا تشغلوا قلوبكم؛ فإيكم في هذا اليوم تتصرفون إلى بيوتكم، وجمع المكافئين بالدقّ بالقرب من موضع الخليفة، وقال لهم دقوا حتى يسمع فيطمئن، وكان كلّ ساعة يسأل الطّبيب عن الدّواء فيقول له إنّه قيد التحضير، فيسمع صوت الدقّ فيسكت، ثمّ مات بعد تسع ساعات (القططي، 2005، 315-316؛ ابن أبي أصيبعة، د. ت، 186). ويستشف من التفاصيل الأخيرة وجود تأمر بصورة أو بأخرى من جانب الأطباء، الذين ربما تورطوا بالتواطؤ مع الأطراف المعادية للهادي بالتقصير في إيجاد الدواء المناسب له.

أصاب الاتّهام تتجّه نحو الخيزران ومناصريها من رجالات الدولة. على الرّغم ممّا قيل بأنّ الخيزران كانت قد حلفت ألا

الدفاع عن حقه في ولاية العهد، فبعثت إلى يحيى البرمكي مولاتها عاتكة، وكانت ظنراً لهارون، فشقت جيبها وبكت بين يديه، وقالت له: "قلت لك السيّدة: الله الله في ابني لا تقتله، ودعه يجيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه، فبقاؤه أحبّ إليّ من الدنيا بجميع ما فيها"، فصاح بها وقال لها: "وما أنت وهذا! إن يكن ما تقولين فإني وولدي وأهلي سنقتل قبله" (الطبري، د. ت، 210/8)، وبقي البرمكي الطرف الأكثر تشدداً حول ضرورة بقاء هارون متمسكاً بولاية العهد، وأدت المناقشات بين رجال الحاشية إلى توسيع شقّة الخلاف بين الأخوين، ما جعل الصّراع يأخذ طابعاً عربياً فارسياً بصورة جليّة وواضحة (عبيدات، 2017، 159).

وقبل موته بأيام قليلة، بلغ الهادي أنّ البرمكي قد اتّفق مع هارون أن يوليّه وزارته عندما يعتلي عرش الخلافة، فألقى القبض عليه، وعقّفه وهدّده بالقتل قائلاً: "بلغني أنّك ترضى هارون للخلافة، ونفسك للوزارة، والله لا تينّ على نفسه ونفسك قبل ذلك"، ثمّ أمر بحبسه بصورة مهينة عدّة أيام في غرفة ضيقة جدّاً، كما قبض الهادي على أخيه هارون وأودعه السّجن (اليقوي، 2010، 351/2)، وقرّر قتلها في وقت لاحق (الطبري، د. ت، 230/8)، ومن ثمّ خرج إلى حديثه الموصل⁽¹⁾؛ فمرض بها، واشتدّ مرضه، ما اضطرّه للعودة إلى بغداد، وكتب إلى عماله وولاته بالقدوم عليه؛ من أجل خلع هارون ومبايعة جعفر (الطبري، د. ت، 212/8؛ الأزدي، 1967، 259)، ولم يجسر أحدٌ من النّاس على الدّخول عليه سوى صغار الخدم (المسعودي، 2005، 276/3). وعندما أحسّ أنصاره ومؤيديه بدنوّ أجله؛ اتّفقوا على التخلص من البرمكي، بحجّة أنّ الهادي هو من أصدر هذا الأمر، وممّا دفعهم إلى ذلك خشيتهم من التّعرض للقتل على يد البرمكي إذا ما صار الأمر إلى هارون، ثمّ تراجعوا خوفاً من معاقبة الهادي لهم إن فاق من مرضه (الطبري، د. ت، 212/8). وأما بخصوص أبي هريرة محمّد بن فروخ؛ فما أن وصل وجيشه إلى الرّقّة؛ حتّى أناه الخبر بوفاة الهادي (اليقوي، 2010، 350/2).

وفاة الهادي، أسبابها وملابساتها

غصّت الروايات التاريخية بمعلومات كثيرة ومتشابهة حول الظروف والملابسات التي أحاطت بمرض الهادي المفاجئ ومن ثمّ موته، ولم تتفق على سبب بعينه، وآثر بعض المؤرّخين ذكر غير سبب، وربّما رجّح بعضهم سبباً على آخر، ولكنهم لم يحسموا الأمر تماماً، ما جعل هذا قضية موت الهادي تخضع لعدد من الفرضيات:

الوفاة الطبيعيّة الناتجة عن الإصابة بالمرض، ومحاولات الإشفاء: ذهب البعض أنّ وفاته كانت بسبب قرحة في جوفه

(2) نهر صرصر: يصبّ في دجلة، وتجري فيه الشّطن، وعليه مدينة كثيرة الأشجار والأسواق، وبينها وبغداد سبعة أميال (الحميري، 1984، 357).

(1) حديثة الموصل: مدينة عامرة من كوز الموصل، على شاطئ دجلة، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، ومنها إلى الموصل مرحلة (الحميري، 1984، 189-190).

السَّمع عندما أمر الهادي هرثمةً بن أعين بقتل هارون والبرمكي والطالبيين وحزق الكوفة، فدخلت على الهادي وكشفت عن ثديها وشعرها وبكت وتمرّغت بين يديه وناشدته الله أن لا يقتل هارون، فنهراها وهذّدها بالقتل هي الأخرى، ثمّ هوى إلى فراشه فشرّق، ولم ينفع معه الماء، فمات، ثمّ استدعت هرثمةً على عجلٍ، وما أن دخلَ وإذا ستارة ممدودة، وقالت امرأةٌ له من وراءها: "إنّ موسى قد مات، وأراحك الله منه، وجميع المسلمين"، فأناه هرثمةً ووجدته مسجّى على فراشه، فمسّ قلبه ومجسه ومناخره وتأكّد من موته، ثمّ طلبت منه الخيزران أن يذهب إلى البرمكي ليقوم بإبلاغ هارون بالأمر (التنوخى، 1978، 21/3-22؛ مجهول، 1871، 288/3)، ما يعزّز من فرضية تورط الخيزران في قتله بشكلٍ مباشر.

ومن الروايات التي حملت في طياتها إشاراتٍ أخرى تفيد بتورط الخيزران في قتل الهادي؛ لإفساح المجال أمام هارون لتولي الخلافة؛ فقد كانت نفسها تتوقّع وفاته في الليلة التي توفّي فيها، حيث قالت: بلغني أنّه في هذه الليلة يولد خليفةً ويموت خليفةً ويولى خليفة، وقصدت بذلك مولد المأمون، وموت الهادي، وتولية هارون، ولما بلغها خبر موته كرّرت العبارة ذاتها وهي في غاية السُرور (الطّبري، د. ت، 212/8؛ ابن كثير، 2010، 419/10)، ولما سُئلت عن مصدر علمها؛ قالت: كنت قد سمعت ذلك من الإمام الأوزاعي(ت). 157هـ/774م(2) (الطّبري، د. ت، 212/8).

ومما قيل أيضاً؛ أنّه لما علمت الخيزران باشتداد مرض الهادي وأنّه على وشك الموت؛ بعثت على الفور إلى يحيى البرمكي لتعلمه أن الهادي على وشك الموت، وتأمّره بالاستعداد لما ينبغي، وأمرت الكتاب بالاجتماع في منزل الفضل بن يحيى البرمكي (ت. 193هـ/908م)(3)، فكتبوا الكتب إلى العمّال بأنّ الأمر قد صار لهارون، وأنّه قد أقرّهم على ما هم عليه، على الرّغم من أنّ الهادي وقتذاك كان لا يزال على قيد الحياة (الطّبري، د. ت، 212/8؛ ابن الأثير، 1987، 272/5)، ما يدلُّ بشكلٍ واضحٍ على تورط الخيزران والبرمكي في تدبير مقتله.

وتشير روايةٌ أخرى، نقلها الطّبري عن مصادر مختلفة، أنّ الخيزران كانت مشغولةً بمنادمة صديقاتها ومواليها عندما حضرت الهادي الوفاة؛ فقيل أنه لما أتاه الرسول وأخبرها بموته؛ أظهرت استهتاراً واضحاً وقالت: وما أصنع به؟ فقالت لها جاريتها خالصة: قومي إلى ابنك أيّتها الحرّة؛ فليس هذا وقت العتاب أو إظهار الغضب، فطلبت الخيزران ماءً لتتوضأ للصلاة، وفي روايةٍ أخرى؛ لما أتى خبر موت الهادي كانت

تكلم الهادي، وبقيت على ذلك حتّى مات (الطّبري، د. ت، 212/8)؛ فقد انفرد المسعودي (2005، 276/3) بروايةٍ جاء فيها أنّه لما عاد الهادي من حديثه الموصل عليلاً؛ أشار إلى الخدم أن يحضروها له، فجلست عند رأسه، وقال لها: أنا هالك في هذه الليلة، وفيها يلي أخي هارون، وأنت تعلمين ما قضى به أصل مولدي بالرّي، وقد كنتُ أمرتُك بأشياء ونهيئتُك عن أخرى، ممّا أوجبت سياسة المُلْك، لا موجبات الشّرع من برك، ولم أكن بك عاقاً، بل كنتُ لك صانئاً وبرّاً واصلاً، ثمّ قضى قابضاً على يدها واضعاً إياها على صدره. وعلى ما يبدو فإنّ هذه الرواية لا تجد ما يدعمها ويؤيّدتها، لا بل ذهب عديد من المؤرّخين إلى تحميل الخيزران المسؤولية عن قتله بسبب منعها من التّدخل في شؤون الدّولة والنّوَسَط للأخريين في قضاء حوائجهم، ومحاولته قتلها بطعامٍ مسمومٍ (ابن العمراني، 1999، 73؛ ابن العبري، 1992، 128؛ ابن تغري بردي، د. ت، 130/1)، وبسبب خشيتها من أن يفيق من مرضه فيواصل مساعيه لقتل هارون (الطّبري، د. ت، 206/8؛ مجهول، 1871، 288/3؛ ابن تغري بردي، د. ت، 130/1)، وبخاصّةٍ أنّها كانت تميل إلى الأخير وتفضّله على الهادي (ابن كثير، 2010، 418/10)، ولطالما أشاعت وناصروها بأنّ الهادي لن يعمر طويلاً بناءً على رؤيا المهديّ، ومن ذلك؛ قيل ليحيى بن خالد: فلو عاش الهادي إلى حين بلوغ ولده، أكنت تقي بما وعدت من أمر هارون ونزوله؛ فقال: كنتُ واثقاً أنّ مدّة الهادي يسيرةً لرؤيا المهدي (الواداري، 1982، 62/5). ومما روي عن البرمكي أيضاً؛ أنّه عاد إلى بيته يوماً بعد اجتماع له مع الخليفة الهادي، فكلم أحدَ غلمانه بشيء، فأجابه بما غاظه فضربه، فانقطعت حلقة خاتمه، فتطير من ذلك، فقيل له إنّ انفراج الخاتم يعني الفرج بقرب موت الهادي (التنوخى، 1978، 283/1).

ووجهت بعض الروايات أصابع الاتهام بشكل مباشر للخيزران حول الأسلوب الذي استخدمته الخيزران في قتله؛ فقيل أنّها دسّت عليه من وضع له السّم في طعامه أو شرايه أو أمرت بعض جواريتها بالجلوس على وجهه خلال مرضه، فقتلته خنفاً(4)، "ووجهت إلى يحيى بن خالد: إنّ الرّجل قد توفّي، فاجدّد في أمرك ولا تقصّر" (الطّبري، د. ت، 206). وذكر ابن الجوزي (1995، 335/8) أنّها جاءت إليه وبه رمق، فانترعت خاتمه من يده، وقالت له: أخوك أحقُّ بهذا الأمر منك، وهو يرى ذلك ولا يقدر أن يقول شيئاً. وأفادت روايةً بما يعزّز من مصداقيّة فرضيّة القتل بالخنق عن طريق الجوّاري، على الرّغم من أنّ هذه الرواية لا تتوافق مع سياق تسلسل الأحداث، إذ وقعت أحداثها في وقتٍ لم يكن فيه الهادي مريضاً بعد. وأفادت هذه الرواية أنّ الخيزران كانت تسترق

(2) الأوزاعي: أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع، واستقرّ في بيروت، وكان عالماً فقيهاً وصاحب مذهب عرف به، وتوفّي عام 157هـ/774م (ابن تغري بردي، 1992، 39/2).

(3) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: أخو الرّشد في الرّضاة ووزير، تولى خراسان له، ولما فك الرّشد بالبرامكة أودعه وأبوه النّبتين في الرّقة، ومات فيه عام 193هـ/908م (الزركلي، 2002، 151-152).

(4) (الطّبري، د. ت، 206-205/8؛ ابن العمراني، 1999، 73؛ ابن العبري، 1992، 128؛ ابن الطّطقي، 1966، 191؛ أبو الفداء، 1325هـ/12/2؛ ابن تغري بردي، د. ت، 130/1؛ مجهول، 1871، 288/3).

الثالث من عمره، ولم يعمر عهده في الخلافة طويلاً؛ إذ لم يتجاوز أكثر من سنة وأربعة أشهر، وفق أبعد تقدير (2). وتولى هارون الإشراف على تجهيز الهادي والصلاة عليه ودفنه في ضيعة له بعيساباذ (ابن خياط، 1985، 446؛ اليعقوبي، 2010، 351/2؛ الطبري، د. ت، 213/8)، عرفت ببستان موسى أطبق (3)، وقيل دُفن في القصر الأبيض الذي كان قد بناه هناك (الخطيب البغدادي، 2001، 8/15؛ الكتبي، د. ت، 174/1). ثم تلقى البيعة بالخلافة (الطبري، د. ت، 230/8)، ولعل أكثر الجهات التي أفادت من إيدار الهادي وإقبال أخيه هارون هم البرامكة، حيث جعلهم الأخير وزراءه، "وأقضى إليهم أسرارهم وقدمهم على غيرهم" (ابن أعمش، 1991، 373/8)، حتى قيل أنه قال ليحيى: "أشيز عليّ في الولايات، فجعل يذكرك ولايات الأقاليم لرجال يُسميهم فيوليم هارون" (ابن كثير، 2010، 421/10)، ولم يكن هذا يحدث لولا التفوذ القوي الذي أصبحت تتمتع به الخيزران في بلاط هارون الرشيد، وليس هذا وحسب، بل عملت على التكتيل بكل أولئك الذين ساندوا الهادي خلال محاولته تقديم ابنه جعفر في ولاية العهد، ويفسر البعض تصرفها هذا على أنه تعبير عن عقدة الحقد والانتقام التي لازمتها خلال عهد الهادي (عبيدات، 2017، 160).

النتائج

لم تكن أزمة ولاية العهد وما رافقها تداعيات ونتائج وليدة فترة حكم الخليفة موسى الهادي، بل تعود إلى عصر جدّه أبي جعفر المنصور، ثم ما لبث المهدي أن اتبع السياسة ذاتها في نقض البيعة تجاه وليّ عهده الهادي لصالح ابنه الأصغر منه هارون الرشيد، نزولاً عند رغبة زوجته الخيزران، ويعتقد الباحث أنه ربّما كان لأنصار الهادي دورٌ في التسبب بموت أبيه.

حاولت الخيزران وبتواطؤٍ مع يحيى البرمكي حرف بوصلة الخلافة عن الهادي لصالح ابنها المفضل لديها هارون، تلبيةً لرغبة زوجها في أواخر أيامه ولكن هارون أحبط ما كانت تخطّط له والدته، إذ دعا لأخيه بالخلافة ولنفسه بولاية العهد.

حرص الخليفة الهادي على الاستمرار في أداء واجباته تجاه والدته الخيزران، إلا أن كثرة تدخلها في شؤون الدولة، كما كانت تفعل أيام أبيه، قد أسهمت في رفع وتيرة التوتر بينهما. وتطوّرت علاقتهما على نحوٍ خطيرٍ بعد أن استنفذ

الخيزران بعيساباذ ومعها عددٌ من نساء بني العباس والجواري، وحينها سألت مولاتها خالصة: ما فعل الناس؟ قالت: يا سيّدي، مات موسى ودفنوه؛ قالت: إن كان مات موسى، فقد بقي هارون، هات لي سويقاً، فجاءت بسويق، فأكلت وورّعت الأكل والشراب على النسوة، وأمرت بأربعمائة ألف دينار ورّعتها عليهن، ثم لحقت بابنها ببغداد (الطبري، د. ت، 212/8-213)، وإذا كانت هذه الرواية لا تشير صراحةً إلى تورط الخيزران بشكلٍ مباشرٍ في مقتله؛ فأثماً بالمقابل تُظهر مدى الاستهتار الذي أبدته عند تلقّيها خبر موته، وليس هذا وحسب؛ بل والسُرور البالغ الذي عبّرت عنه بالصورة الاحتفالية آنفة الذكر.

واستمراراً لسيل الروايات التي سطرها المؤرخون حول هذا الموضوع، والتي تبدو غير منسجمة مع بعضها في بعض الأحيان؛ فقد أفيد أن يحيى البرمكي عندما كان في محبسه ذات ليلة سمع خارج غرفته جلبة، فأصابه الجزع، وقال في نفسه إن الهادي تذكّره وأراد قتله، وعندما فُتح عليه الباب، فإذا بالخيزران، فقالت: إن هذا الرجل قد خفّت منذ الليلة، وأحسبه قد قضى، فتعال أنظره! فوجده البرمكي محوّل الوجه إلى الحائط، ووجد زوجته أمة العزيز (4) تبكي عند رأسه. وحينها أمرته الخيزران بفكّ هارون، من محبسه، في قصر الخلد، فاستيقظ مفزوعاً على صوت يحيى وهو يخاطبه بلقب أمير المؤمنين، ويقدم له وزير الهادي الحراني وخاتمه، فاعتدل هارون في فراشه، ونعى البرمكي إليه أخاه وهنأه بالخلافة (اليعقوبي، 2010، 351/2؛ الطبري، د. ت، 206/8، 232؛ الجهشيار، 1938، 175؛ الأزدي، 1967، 259، 261؛ مجهول، 1871، 288/3)، وزفّ إليه خبر ميلاد ابنه عبد الله، فسماه المأمون (ابن قتيبة، د. ت، 381؛ اليعقوبي، 2010، 352/2)، تيمناً واستبشاراً بعهدٍ جديد، وقيل بأن هارون عندما أُخبر بموت الهادي انفرجت أساريره وحمد الله (التتوخي، 1978، 95/4)، مع العلم أن الروايات التاريخية لا تشير إلى شبهة واضحة حول تورطه بما آل إليه مصير الهادي.

وأما بخصوص تاريخ وفاة الهادي؛ قيل مات ببغداد في 14 ربيع الأول/12 سبتمبر 786م (ابن حبيب، د. ت، 37؛ اليعقوبي، 2010، 351/2؛ ابن أعمش، 1991، 372/8؛ ابن حبان، 1973، 326/2؛ القضاعي، 1995، 412)، وقيل في 15 منه/13 سبتمبر (ابن خياط، 1985، 446؛ الدينوري، 1330هـ، 365؛ الطبري، د. ت، 213/8؛ الكندي، 1908، 131). اختلفت المصادر التاريخية حول عمره يوم قبض، وكذلك حول مدة ولايته. وبالمجمل فقد قضى شاباً في العقد

(2) كان عمره يوم قبض ثلاثة وعشرين عاماً (ابن خياط، 1985، 446؛ الأزدي، 1967، 259؛ الخطيب البغدادي، 2001، 8/15)، أو أربعة وعشرين (ابن خياط، 1985، 446؛ الدينوري، 1330هـ، 365)، أو خمسة وعشرين (ابن قتيبة، د. ت، 381؛ المسعودي، 1938، 297؛ ابن حبان، 1973، 326/2؛ الكتبي، د. ت، 173/1)، أو ستة وعشرين (ابن حبيب، د. ت، 37؛ اليعقوبي، 2010، 351/2؛ ابن العبري، 1992، 128؛ أبو الفداء، 1325هـ، 12/2)، أو ثمانية وعشرين (ابن أعمش، 1991، 372/8)، ويعود هذا الاختلاف إلى عدم اتفاق المصادر التاريخية على السنة التي ولد فيها. كما اختلفت في تحديد مدة ولايته؛ فقيل: سنة وشهران والثمان وعشرون يوماً (ابن خياط، 1985، 446)، أو سنة وشهر (ابن قتيبة، د. ت، 381)، أو سنة وشهر وأربعة وعشرون يوماً (الدينوري، 1330هـ، 365)، أو أربعة عشر شهراً (اليعقوبي، 2010، 351/2)، أو سنة وأربعة أشهر (الأزدي، 1967، 259)، أو سنة وشهر وخمسة وعشرون يوماً (المسعودي، 1938، 297)، أو سنة وثلاثة أشهر (المسعودي، 2005، 269/3)، أو سنة وشهران وعشرون يوماً (ابن أعمش، 1991، 372/8)، وأخيراً قيل أن ولايته دامت أربعة عشر شهراً إلا ست ليالٍ (ابن حبان، 1973، 326/2).

(3) موسى أطبق: كان الهادي يعاني من نقص في شفته العليا، فخصّص له ابوه وهو صغير خادماً يقول له: موسى أطبق، فخصّصها، فلقب بها (الطبري، د. ت، 214/8؛ ابن أعمش، 1991، 371/8؛ المسعودي، 1938، 297).

(4) أمة العزيز: أم ولد، وكانت حارية جميلة أهداها الوزير الربيع بن بونن للخليفة المهدي، فأهداها بذوره لابنه موسى، ولما مات تزوّجها أخوه هارون، فولدت علياً (ت. 224هـ/839م) (ابن حبيب، 2001، 185؛ الطبري، د. ت، 228/8؛ ابن أبي أصيبعة، د. ت، 221).

- ابن أعثم، أحمد بن محمّد الكوفي (ت. 314هـ/926م).
(1991). كتاب الفتوح. 9 أجزاء. تحقيق: علي شيري. (ط1).
بيروت: دار الأضواء.

- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت.
487هـ/1094م). (د. ت). معجم ما استعجم من أسماء البلاد
والمواضع. 4 أجزاء. تحقيق: مصطفى السقا. (د. ط). بيروت:
عالم الكتب.

- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت. 279هـ/892م) (1966).
أنساب الأشراف. 13 جزء. تحقيق: سهيل زغار، رياض
زركلي. (ط1). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت.
874هـ/1469م).

- (1992). التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
16 جزء. تحقيق: محمّد شمس الدين. (ط1). بيروت: دار الكتب
العلمية.

- (د. ت). مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.
جزءان. تحقيق: نبيل محمّد عبد العزيز. (د. ط). القاهرة: دار
الكتب المصرية.

- التّوخي، الحسن بن علي (ت. 384هـ/994م). (1978).
الفرج بعد الشيّة. 5 أجزاء. تحقيق: عبّود الشّالحي. (د. ط).
بيروت: دار صادر.

- الجعفري، سامي. (2010). التّنافس على السّلطة في العصر
العبّاسيّ الأوّل 132-232هـ/749-849م. (رسالة دكتوراه
غير منشورة)، جامعة سانت كليمنتس العالمية، جزر توركس
وكايكوس.

- الجهشياري، محمّد بن عبدوس (ت. 331هـ/943م).
(1938). كتاب الوزراء والكتّاب. تحقيق: مصطفى السقا،
إبراهيم الأبياري عبدالحفيظ شلبي. (ط1). القاهرة: مطبعة
مصطفى البابي الحلبي.

- ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي (ت. 597هـ/1201م).
(1995). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمّد
عبدالقادر عطا. (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن حبان، محمّد بن حبان بن أحمد (ت. 354هـ/965م).
(1973). الثّقات. 9 أجزاء. (ط1). حيدر آباد: دائرة المعارف
العثمانيّة-وزارة المعارف للحكومة العالية الهنديّة.

- ابن حبيب، أبو جعفر، محمّد (ت. 245هـ/859م).
(د. ت). كتاب المحبّر. صحّحه: إيلزة ليختن. (د. ط).
بيروت: دار الأفاق الجديدة.

- (2001). أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهليّة
والإسلام. تحقيق: سيّد كسروي حسن. (ط1). بيروت: دار
الكتب العلمية.

الهادي الوسائل كلّها من أجل كبح جماح نفوذها المتنامي
وتدخّلاتها، وتبادل الطّرفان خلال ذلك تهديدَ الواحد منهما
للآخر بالقتل، ولربّما حاول الهادي التّخلّص منها بالسّم.

من أهمّ العوامل التي فجّرت النّزاع الدّاخليّ بين الهادي
ورجال حاشيته من جهة، والطّرف الذي وقفت على رأسه
الخيزران والبرمكيّ من جهة أخرى؛ القرار الذي اتّخذه الهادي
بعزل أخيه هارون عن ولاية العهد وتقديم ابنه الطّفّل جعفر
عليه، على الرّغم من النّصائح التي أسداها له بعضُ رجال
الدّولة المخلصين بالأفعال.

حاول الهادي استمالة أخيه هارون بالمال والأعطيات من
أجل دفعه إلى التّنازل عن ولاية العهد، وكاد يوافق لولا تدخّل
والدته والبرمكي، وبخاصّة الأخير الذي بدا متلوّناً في مواقفه
تجاه الخليفة؛ إذ كان يظهر بصورة الموالي له، وفي الوقت
ذاته يشجّع هارون وبقوّة على التّمسك بحقّه الشّرعيّ في ولاية
العهد.

لمّا لم تقلح محاولات الخليفة في إقناع هارون بالتّنازل
ومبايعة جعفر بالطّرق السّلميّة؛ لجأ إلى اعتماد لغة القوّة في
التّعامل معه والبرمكيّ المؤازر له، ويتبيّن من البحث أنّ خوف
الخيزران على حياة هارون، بعد أن هدّده الهادي بالقتل، قد
دفعها إلى التّفكير بالتّخلّص منه.

اكتفى الخليفة الهادي بحبس كلّ من أخيه هارون
والبرمكيّ، ما حفّز الخيزران وحاشيتها على البدء بوضع
الخطط المناسبة للتّخلّص منه، وما لبثت الفرصة المناسبة أن
أتتها، إذ استغلّت مرضه من أجل الوصول إلى مرامها،
وتوضّح من خلال روايات المصادر التاريخيّة أنّها تتحمّل
المسؤوليّة عن التّسبّب بوفاته، من خلال طرقيّ شتى. وعلى ما
يبدو أنّها عندما شعرت بأنّ مرضه سيطول؛ قامت بدسّ
خادمتها عليه فقتلته خنقاً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير، علي بن محمّد (ت. 630هـ/1233م). (1987).
الكامل في التاريخ. 11 جزء. تحقيق: عبد الله القاضي. (ط1).
بيروت: دار الكتب العلمية.

- الأزدي، يزيد بن محمّد بن إياس (ت. 334هـ/946م).
(1967). تاريخ الموصل. تحقيق: علي حبيبة. (د. ط).
القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت.
356هـ/967م). (2008). كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان
عبّاس وآخرون. 26 جزء. (ط3). بيروت: دار صادر.

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت. 668هـ/1270م). (د.
ت). عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء. تحقيق: نزار رضا. (د.
ط). بيروت: دار مكتبة الحياة.

والصلاحية. 5 أجزاء. تحقيق: إبراهيم الزبيق. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الصّفي، خليل بن أيّك (ت. 764هـ/1363م). (2000). الوافي بالوقيات. 29 جزء. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. (ط1). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- الطّيري، محمّد بن جرير (ت. 310هـ/922م):

- (د. ت). تاريخ الرّسل والملوك. 10 أجزاء. تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم. (ط4). القاهرة: دار المعارف.

- (2000). جامع البيان في تأويل القرآن. 24 جزء. تحقيق: أحمد شاكر. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن الطّقطقي، محمّد بن علي (ت. 709هـ/1309م). (1966). الفخري في الآداب السّليمانية والدّول الإسلاميّة. (د. ط). بيروت: دار صادر.

- ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر (ت. 280هـ/893م). (1908). بلاغات النّساء. صحّحه وشرحه: أحمد الألفي. (د. ط). القاهرة: مطبعة مدرسة والده عبّاس الأوّل.

- العاملي، زينب. (1894). الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور. (ط1). القاهرة: المطبعة الأميريّة.

- ابن العبري، غريغوريوس بن هارون (ت. 685هـ/1286م). (1992). تاريخ مختصر السّول. تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي. (ط3). بيروت: دار الشّرق.

- عبيدات، عدنان. (2017). التّنافس السّياسي في الدّولة العبّاسيّة بين النّيارين الفارسيّ والعربيّ 170-187هـ/786-802م: ولاية العهد أنموذجاً. مجلّة العلوم الإنسانيّة، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، مجلد 25(1)، ص(157-174).

- ابن العمراني، محمّد بن علي (ت. 580هـ/1184م). (1999). الإنباء في تاريخ الخلفاء. تحقيق: قاسم السامراني. (ط1). القاهرة: دار الأفاق العربيّة.

- أبو الفداء، عماد الدّين، إسماعيل (ت. 732هـ/1332م). (1325هـ). المختصر في أخبار البشر. 4 أجزاء. (ط1). القاهرة: المطبعة الحسينيّة.

- الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت. 347هـ/958م). (1410هـ). كتاب المعرفة والتّاريخ. 4 أجزاء. تحقيق: أكرم العمري. (ط1). المدينة المنورة: مكتبة الدّار.

- فوزي، فاروق. (1998). الخلافة العبّاسيّة، عصر القوّة والازدهار. جزءان. (ط1). عمّان: دار الشّروق للنّشر والتّوزيع.

- ابن قدامة، قدامة بن جعفر (ت. 337هـ/948م). (1981). الخراج وصنعة الكتابة. تحقيق: محمّد الزبيدي. (د. ط). بغداد: دار الرّشيد للنّشر.

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت. 276هـ/889م). (د. ت). المعارف. تحقيق: ثروت عكاشة. (ط4). الإسكندريّة: دار المعارف.

- ابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي (ت. 456هـ/1064م). (د. ت). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: ليفي بروفنسال. (د. ط). القاهرة: دار المعارف.

- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت. 626هـ/1229م). (1995). معجم البلدان. 7 أجزاء. (ط2). بيروت: دار صادر.

- الحميري، محمّد بن عبد المنعم (ت. 900هـ/1495م). (1984). الرّوض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عبّاس. (ط2). بيروت: مكتبة لبنان.

- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت. 463هـ/1071م). (2001). تاريخ مدينة السّلام. 21 جزء. تحقيق: بشّار عوّاد. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- ابن خلدون، عبد الرّحمن بن محمّد (ت. 808هـ/1406م). (2000). تاريخ ابن خلدون. 7 أجزاء. تحقيق: خليل شحادة. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

- ابن خلكان، شمس الدين، أحمد (ت. 681هـ/1282م). (د. ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان. 7 أجزاء. تحقيق: إحسان عبّاس. (د. ط). بيروت: دار صادر.

- ابن خيّا، خليفة بن أبي هبيرة (ت. 240هـ/854م). (1985). تاريخ خليفة بن خيّا. تحقيق: أكرم العمري. (ط2). الرّياض: دار طيبة.

- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيّك (ت. بعد 736هـ/1336م). (1982). تاريخ كنز الدرر وجامع الغرر. 8 أجزاء. تحقيق: مجموعة. (د. ط). القاهرة: منشورات عيسى البابي الجلي.

- الدّينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود (ت. 282هـ/895م). (1330هـ). الأخبار الطّوال. (د. ط). القاهرة: المكتبة الأزهرية.

- الذهبي، شمس الدّين، محمّد (ت. 748هـ/1347م). (1990). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. 53 جزء. تحقيق: عمر تدمري. (ط2). بيروت: دار الكتاب العربي.

- (1996). سير أعلام النبلاء. 29 جزء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (ط11). بيروت: مؤسسة الرّسالة.

- الزّركلي، خير الدين. (2002). الأعلام. 15. بيروت: دار العلم للملايين.

- السّروجي، بهيجة. (2016). التّطوّر التّاريخي لدور المرأة في العصر العبّاسيّ (132-334هـ/750-945م). (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كليّة الآداب، جامعة بيروت العربيّة، بيروت، لبنان.

- السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت. 911هـ/1505م). (2003). تاريخ الخلفاء. (ط1). بيروت: دار ابن حزم.

- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت. 665هـ/1267م). (1997). عيون الرّوضتين في أخبار الدّولتين النّوريّة

- القضاعي، محمّد بن سلامة (ت. 454هـ/1062م). (1995).
تاريخ القضاء. تحقيق: جميل المصري. (د. ط). مئة
المكرّمة: مكتبة الملك فهد الوطنيّة.
- القفطي، علي بن يوسف (ت. 646هـ/1248م). (2005).
إخبار العلماء بأخبار الحكماء. علّق عليه ووضع حواشيه:
ابراهيم شمس الدين. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.
- الكتبي، محمّد بن شاكر (ت. 764هـ/1363م). (د. ت).
فوات الوفيات والنّيل عليها. 5 أجزاء. تحقيق: إحسان عبّاس.
(د. ط). بيروت: دار صادر.
- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل (ت. 774هـ/1372م).
(2010). البداية والنهاية. 20 جزء. تحقيق: محيي الدين مستو.
(ط2). دمشق وبيروت: دار ابن كثير.
- الكندي، محمّد بن يوسف (ت. 355هـ/966). (1908).
كتاب الولاية وكتاب القضاة. تحقيق: رفن كست. (د. ط).
بيروت: مطبعة الأباء اليسوعيّين.
- المرزباني، محمّد بن عمران (ت. 384/994م). (2005).
معجم الشعراء. تحقيق: فاروق اسليم. (ط1). بيروت: دار
صادر.
- المسعودي، علي بن الحسين (ت. 346هـ/957م).
(2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر. 4 أجزاء. مراجعة:
كمال مرعي. (ط1). بيروت: المكتبة العصريّة. (1938).
التنبيه والإشراف. صحّحه وراجعه: عبد الله إسماعيل. (د.
ط). القاهرة: مكتبة الشروق الإسلاميّة.
- مجهول. (1871). العيون والحدائق وأخبار الحقائق. (د.
ط). بغداد: مكتبة المثنى.
- محمّد، نبيلة. (1993). تاريخ الدولة العبّاسيّة. (د. ط).
الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.
- الهامي، محمّد. (2013). العبّاسيّون الأقوياء. (ط1).
القاهرة: مؤسّسة اقرأ.
- الهمذاني، أحمد بن محمّد بن الفقيه (ت. 340هـ/951م).
(1302هـ). مختصر كتاب البلدان. (د. ط). هولندا: مطبعة
ليدن.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت.
292هـ/905م). (2010). تاريخ اليعقوبي. جزءان. تحقيق:
عبد الأمير مهنا. (ط1). بيروت: دار الأعلمي.